

الإحسان إلى النفس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين خير الخلائق أجمعين ، من بعت رحمة للعالمين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة والعذاب الأليم على أعدائهم ، ومنكري فضائلهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .
قال تعالى : { إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْأُلْيَا أُولَٰئِكَ أَكْرَمُوا لَمْ يُجْرِبُوا أَلْسِنَتُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَإِن لَّكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سورة الاحزاب: ٦١]

حديثنا في هذا اليوم بعنوان الإحسان إلى النفس ، وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة نستظهر بأنّ أي عمل يقوم به الإنسان ، من الخيرات ، ومن الإحسان إلى الآخرين ، ومن عبادة ، ومن صدقة ، ومن حفظ الجوار ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، يجد أثارها ونتائجها تعود على نفس الإنسان ، وإن كان بحسب الظاهر أنه أحسن إلى ذلك الفقير ، وساعد ذلك المحتاج ، وأحسن إلى جاره ؛ ولكنه عندما نتعمق نجد أن كل ذلك راجع إلى نفس الإنسان ، { إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْأُلْيَا أُولَٰئِكَ أَكْرَمُوا لَمْ يُجْرِبُوا أَلْسِنَتُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَإِن لَّكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سورة الاحزاب: ٦١]

وكذلك أيضاً في الجانب الآخر بأن الإنسان إذا أساء إلى الآخرين بظلم وبعتداء من سلب حق ، في الواقع عندما نتأمل وندقق نجد بأنه أساء إلى نفسه ؛ لأنه سوف يرى أثار ذلك يوم القيامة - بما أننا نؤمن بالله سبحانه وتعالى ، ونؤمن باليوم الآخر - لا بد أن يكون في نفوسنا وضائرتنا بأننا إذا أحسنا سوف نرى ذلك ، وإن أسأنا أيضاً سوف نرى ذلك .

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : « ما أحسنت لأحد قط، ولا أسأت إلى أحد ، فرفع الناس رؤوسهم تعجباً - كأنهم يتساءلون ويقولون أنت يا أمير المؤمنين كم لك من الإحسان ، حيث كان يصل الفقراء والمحتاجين ، وكان يحفر الابار ويقفها في سبيل الله ، فكيف لم تحسن لأحد قط؟! - فقرأ قوله تعالى: { إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْأُلْيَا أُولَٰئِكَ أَكْرَمُوا لَمْ يُجْرِبُوا أَلْسِنَتُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَإِن لَّكُلِّ فِتْنَةٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سورة الاحزاب: ٦١]

وهذه هي النظرة العميقة والواسعة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقول يا أيها الإنسان أيها المؤمن أنت في الواقع بحسب الظاهر أحسنت إلى الآخرين ، ولكن عندما تتأمل تجد بأنك أحسنت إلى نفسك ؛ لأنه سوف ترى أثار هذا الإحسان وهذا العمل الصالح في يوم القيامة يعود عليك بالنعمة .

وكذلك الإساءة بحسب الظاهر ظلمت أحداً ، وأكلت مال شخص ، ولكن عندما ترى أثار ذلك في يوم القيامة

يتبين لك بأنك أسأت لنفسك ، كما يقول تبارك وتعالى : { وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ، فهذه النظرة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان هذه الآية يدل على عظم علمه ، وعمق ذلك العلم الموجود عند أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وأيضاً الذي يدل على هذا - بأن الإنسان إذا أحسن أحسن إلى نفسه - ما ورد أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقول : (من فعل معروفًا فإنما صنع الخير لنفسه) .

ونلاحظ بأن أهل البيت (عليهم السلام) إذا جاء أحد يسأل منهم العطاء ، من فقير، ومحتاج ، يقلون مرحباً بمن جاءنا بزدنا إلى الآخرة ، يعني يرون بأن هذا المحتاج ، أو هذا السائل ، فتح لهم باباً من أبواب الخير والعطاء فيستأنسون ؛ لأنهم يرون بأن هذا له أثر حسن لهم في يوم القيامة .

و الإمام الصادق (عليه السلام) استشهد بهذه الآية الكريمة - { إِنِّ أَحْسَنْتُكُمْ أَحْسَنَ نَفْسِكُمْ } - في رسالته إلى أصحابه حيث يقول : (أحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم) ، ثم قرأ قوله تعالى : { إِنِّ أَحْسَنْتُكُمْ أَحْسَنَ نَفْسِكُمْ } و - إِنِّ أَحْسَنْتُكُمْ أَحْسَنَ نَفْسِكُمْ } .

إذن ما دام أن الإنسان يحسن إلى نفسه ؛ فعليه أن يبادر في عمل الصالحات ، ويبادر في عمل الخيرات ، من صدقة مثلاً ، وعمل صالح ، و عبادة ، و صلة رحم ، وغير ذلك .

وأيضاً هناك آيات أخرى تؤكد على مضمون هذه الآية المباركة

كما في قوله تعالى : { وَمَا تَقْدِرُوا لَأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا } .

يعني إذا عمل الإنسان خيراً وعملاً صالحاً يراه يوم القيامة ، وذكر المفسرون أقوالاً في معنى تراه ، فقال البعض ترى ثوابه و ترى أثاره ، والبعض قال ترى نفس العمل يتجسد أمام الإنسان يوم القيامة ، في صورة جميلة إن كان العمل حسناً ، وفي صورة قبيحة إن كان العمل سيئاً ، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى : { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا } .

□□ للإستماع للكلمة هنا

